المؤتمر الدولي مجلة الأهواز لدراسات علم اللغة (مجلة فصلية دولية محكمة) (WWW.AJLS.IR)،
ISSN: ٢٧١٧-٢٧١٦، ٢٠٢٣م/١٤٤٥هـ، المجلد: ٣، العدد: ٢

الخطاب السياسي وأثره على المحكية العراقية في حقبة الثمانينات والتسعينات دراسة في تحليل الخطاب ودلالاته

د. عبير بدر عبد الستار البدر و ابتسام عبد الرحيم فرحان،

قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة المستنصرية و ثانوية كلية بغداد للبنات، وزارة التربية، العراق

الملخص

عاش أبناء العراق في حقبة الثمانينات والتسعينات صدمات ونكبات سياسية كثيرة كانت في مجمل أحداثها بعيدة عن طبيعة المجتمع العراقي، وقد القت بجرانها على هذا المجتمع، وكان للسلطة السياسية خطابا تهدف منه إ تمرير الأفكار والمعارف التي تريدها إلى المجتمع العراقي، وهذا البحث هو محاولة للكشف عن الأبنية اللاواعية في مدارك الشعب العراقي في موقفه من خطاب السلطة المستبدة ، فضلا عن بيان الآثار التي تركها خطاب تلك الحقبة في نفوس العراقيين، وقد دونت المحكية العراقية تلك الآثار ، وهنا نحن نحاول تسجيلها بوصفها خطاب عصر كنا شهودا عليه ، والحق أننا لسنا بصدد تقييم هذه الحقبة ولكننا نريد ان نسجل للتأريخ التحولات اللغوية التي هي في الأصل واقعة تحث تأثير خطاب السلطة والأحداث التي أحاطت بالعراقيين وأثرت على صياغاتهم وعباراتهم اللغوية.

الكلمات المفتاحية: الخطاب السياسي، تحليل الخطاب، المحكية العراقية.

مقدمة

شهد العراق في حقبة الثمانيات والتسعينات تحولات دراماتيكية وحروبا ضارية انعكست آثارها على كل مناحي الحياة الاجتماعية، وقد تميزت هذه الحقبة بخطاب سياسي يحاول فرض أيدولوجياته ومخططاته على العراقيين، ولكن كأي جبر يقع على مسارب التفكير البشري يكون الالتفاف عليه ومقاومته أمرا مفروغا منه.

وقد كان خطاب السلطة في تلك الحقبة يتمظهر متفردا في المجتمع العراقي فما من خطاب ينافسه فالإذاعة واحدة والجرائد كلها مسيسة لخدمة خطاب السلطة وتسويقه والتلفاز محطة واحدة* والكل مجبر على مشاهدة برامجها.

وعلى الرغم من ذلك كله كان المجتمع العراقي يحاول رفض هذه الوصاية والتمرد عليها بخطاب قد لا يكون بقوة تمظهر خطاب السلطة ولكن بكل تأكيد كان أوسع تأثيرا وانتشارا وأبعد صدى في المجتمع العراقي الذي ما فتئت الإسقاطات السياسية ومغامراتها غير المحسوبة تلقي بجرانها عليه.

والحق أننا لسنا بصدد تقييم تلك الحقبة والحكم عليها؛ ولكننا نريد أن ندرس اللغة التي عايشنا تفاصيلها وعرفنا منطلقاتها، فنحن نسجل للتاريخ التحولات اللغوية التي هي في الأصل كانت واقعة تحت تأثير الخطاب السلطوي الذي تحاول دلالات اللغة التمرد عليه بطريقة لا تسمح للسلطة أن تفرضه ولا أن تتهم أبناء المجتمع بأنهم قد تجاوزوا المحظور. ولأن اللغة هي الوعاء الذي يحمل كل ما يسكن داخل وعي المجتمع، فلا يأتينا من لم يصارع إرهاصات تلك الحقبة ليصدر حكما مجتزأ عليها، مهما كان سلبا أو إيجابا ويسطر أدلة من نسج خياله ليثبت شيئا غير الحقيقة بتأثير ردة فعله على المرحلة السياسية الحرجة التي نمر بها اليوم في العراق، أو أي سبب آخر، فيكتب للأجيال تاريخا مزورا، تُلقى البطولة والشرف فيه على أناس هم الأبعد منهم.

وجدير بالذكر أن الانتفاضة الشعبانية التي حدثت عقب أم المعارك أسمتها السلطة (الغوغاء). لكنها غيرت التسمية بعد ذلك وأسمتها (صفحة الغدر والخيانة). وعند النظر في معاني الغوغاء نجد أن من معانيها الجراد. فهل وصل للذهنية الحاكمة شؤم هذا التضمين بأن الله سلط من بين ما سلط من العذاب على فرعون ومن لف لفه الجراد، فكان فيه نهاية ملكه أم أن السبب هو أن أول من أطلق اسم الغوغاء هو الامام علي عليه السلام حين عرفهم بأنهم إذا اجتمعوا ضروا وإذا تفرقوا نفعوا. والغَوْغَاء . بغينين معجمتين . الجراد حين يخف للطيران ثم استعير للسفلة من الناس والمتسرعين الى الشر ويجوز أن يكون من الغوغاء الصوت والجلبة لكثرة لغطهم وصياحهم والغوغائي سياسي يتملق الجماهير لكسب ودهم والغوغائي عدو الجماهير، والغوغائية مصدر صناعيّ من غَوْغاء: حالة سياسيّة تكون فيها السلطة بيد الجماهير[١]. فالغوغاء الجماعة من الناس بيدها السلطة والحاكم لا يريد اجتماعا على غيره. ولا يريد السلطة بيد أحد غيره. كما ان فيها معنى ضمنيا من الاحتجاج والخروج عن سلطة المستبد، لذا لجأ الى استبعاد هذه الكلمة من خطابه وأبدلها بمصطلح **صفحة الغدر والخيانة**، وصار الى منع استعمال الكلمة رسميا، ولكنها شعبيا انتشرت انتشارا واسعا على سبيل التهكم والنيل من خطاب السلطة.

اللغة والمجتمع وخطاب السلطة

يقول كارناب: ((إن بنية اللغة وتكوينها يضئ لنا خصوصية وضع الإنسان في إطار ثقافة ما))[٢]. والحكومات ولاسيما الدكتاتورية منها تجتهد ليكون لها خطاب تتوجه به للمجتمع لتحكم السيطرة عليه وتجعله مغيبا عن الوعي بالأيدلوجية التي تؤمن بها؛ إذ إن ((الخطاب هو الوعاء المفضل للأيدلوجية))[٣]، والسلطة في العراق وقتئذ كانت تدرك ((هيمنة اللغة على الفاعلية الاجتماعية))[٤]، ويذهب العالم النحوي الأيرلندي جميس بيرن (١٨٢٠. ١٨٩٨) في كتابه الهيمنة العامة لتركيب اللغة (١٨٨٥) الى أن ثمة ارتباطا بين بنية اللغة والبنية العقلية السائدة في مجتمع ما[٥].

فاللغة بناء على ما تقدم تعبير عن مدى إدراك الإنسان وقابليته الكامنة لفهم معطيات الحياة التي يحياها في ظل الظروف الاجتماعية والثقافية فاللغة هي نسق تفكير يتجلى في ما يستخدمه الأفراد من تعابير ومفردات تحتوي الواقع الذي يعيشونه وتمثلهم له، فالبحث في اللغة هو بحث في سيكولوجية الناس الذين يستخدمونها كوسيلة للتعبير عما يدور في خلدهم من أفكار كما إنها قد تكون وسيلة لاتخاذ موقف معين من الحياة التي يحياها الفرد ضمن إطار سلطة معينة تحاول تشكيل حياته وفقا لما تستعمله من مفردات تفرضها عليه فرضا في سياق معاملاته اليومية وبذلك ((يعيشون تحت رحمة اللغة التي هي وسيلة التعبير عن مجتمعهم)) فإن ((العلم الواقعي مبني إلى حد كبير وبشكل لا واع . على العادات اللغوية للجماعة))[٦].

والخطاب الذي كثر تردده في البحث الحالي يتجاوز معنى العبارة التي هي موضع اهتمام علماء اللغة إلى محاولة فهم الخطاب السائد في المجتمع العراقي والخطاب هو المعرفة المتداولة في العراق التي تختلف عن تلك السائدة في الهند أو فرنسا فكيف إذا كانت معرفة متداولة لعصور تاريخية قديمة؟ وذلك لأن حياة العراقيين الآن تختلف عن حياتهم قبل ١٠٠ عام لأنهم يعيشون في خطاب أو مفهوم خطابي مختلف.

لقد صاغت السلطة العراقية لغتها الخاصة التي لها مفردات ذات دلالات مستحدثة خدمة للنظام ولفرض واقع الهيمنة على تفكير الشعب وسلوكه نحو الخنوع والطاعة والركون إلى حيز السلطة الذي لا بديل له من أجل فرض الهيمنة على سلوك الأفراد من خلال السيطرة على تفكيرهم أولا، ومنهجته وفقا لرؤآها، وكانت اللغة خير وسيلة لذلك، فصارت المفردات لها معان حددها استعمال السلطة في المواقف الاجتماعية والسياسية والحزبية وكلها تهدف لخدمة مصالحها وأيدولوجيتها في الحكم، فخلقت بذلك علاقات دلالية جديدة حددتها الأسيقة التي كانت السلطة تستعمل المفردة فيها، وهذا يؤثر تأثيرا

مباشرا على علاقة الإنسان بالعالم الخارجي وبطبيعة التجربة الحياتية التي يحياها مع مفاهيم السلطة الحاكمة، فـ ((اللغة تؤثر على الطريقة التي يفهم بها الإنسان العالم ويتصرف من خلالها في اتصاله بهذا العالم))[٧].والحق أن اتخاذ مفردات تصبح فيما بعد علامة فارقة للسلطة الحاكمة، هي من الآليات القديمة التي تلجأ إليها السلطة التي تسعى لتغيير مفاهيم المجتمع، وخير مثال على ذلك تغيير الإسلام معاني كثير من الألفاظ التي كانت في الجاهلية. فقد استعمل الإسلام الألفاظ استعمالا يتناسب مع بناء الدولة الإسلامية في مدينة الرسول صلى الله عليه وآله)، بادئا بيثرب وهو الاسم السابق للمدينة المنورة قبل الهجرة النبوية؛ لأن معناه لا يناسب القيم الإسلامية، فهي من ثرب الرجل إذا أفسد وخلّط[٨].

وانتهج الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) نهج تغيير أسماء بعض الصحابة، فقد روي أن النبي (صلى الله عليه وآله) غيَّر اسم عاصية وقال "أنت جميلة"[٩]. وقال أبو داود أن النبي غير اسم العاصي وعزيز وعتلة وشيطان والحكم وغراب وحباب وشهاب فسماه هاشما وسمى حرب سلما وسمى المضطجع المنبعث، وأرضا يقال لها عقرة سماها خضرة، وشِعب الضلالة سماه شِعب الهدى وبنو الزنية سماهم بنو رَشدة وسمى بنو مُغوية بني رَشدة[١٠]. وباب الألفاظ الإسلامية كبير في درس لغة العرب ألفت فيه الكتب مثل كتاب الزينة في الألفاظ الإسلامية وباب الأسباب الإسلامية في كتاب الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس الذي يقول فيه: (كَانَتْ العربُ فِي جاهليتها عَلَى إرثٍ من إرث آبائهم فِي لُغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقَرابينهم. فلما جاءَ الله جلّ ثناؤه بالإسلام حالت أحوالٌ، ونُسِخَت دِيانات، وأبطلت أمورٌ، ونُقِلت من اللغة ألفاظ من مواضعَ إِلَى مواضع أخَر بزيادات زيدت، وشرائع شُرعت، وشرائط شُرطت. فَعفَّى الآخرُ الأوّلَ، وشُغِل القوم – بعد المغاوَرات والتّجارات وتَطَلُّب الأرباح والكدْح للمعاش فِي رحلة الشتاء والصَّيف، وبعد الأغرام بالصَّيْد والمعاقرة والمياسرة – بتلاوة الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بَيْنَ يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيم حميد، وبالتَّفقُّه فِي دين الله عزّ وجلّ، وحفظ سنن رسول الله صلى الله تعالى عَلَيْهِ وسلّم، مع اجتهادهم فِي مجاهدة أعداء الإسلام. فصار الَّذِي نشأ عَلَيْهِ آباؤهم ونشؤوا عَلَيْهِ كَأَن لَمْ يكن وحتى تكلَّموا فِي دقائق الفقه وغوامض أبواب المواريث وغيرها من علم الشريعة وتأويل الوحي بما دُوّن وحُفِظ حَتَّى الآن))، وقال في موضع آخر ((ما جاء فِي الإسلام – ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق. وأنَّ العرب إنَّما عرفت المؤمن من الأمان والإيمان وهو التصديق. ثُمَّ زادت الشريعة شرائطَ وأوصافاً بِهَا سُمِيَ المؤمن بالإطلاق مؤمناً. وكذلك الإسلام والمسلم، إنّما عَرَفت منه إسلامَ الشيء ثُمَّ جاء فِي الشَّرع من أوصافه مَا جاء. وكذلك كَانَتْ لا تعرف من الكُفر إلاَّ الغِطاء والسِّتْر. فأما المنافق فاسمٌ جاء بِهِ الإسلام لقوم أَبْطنوا غير مَا أظهروه، وَكَانَ الأصل من نافقاء اليَرْبوع. وَلَمْ يعرفوا فِي الفِسْق إلاَّ قولهم: "فَسَقَتِ الرُّطبة" إذَا خرجت من قِشرها، وجاء الشرع بأن الفِسق الإفحاش فِي الخروج عن طاعة الله جلّ ثناؤه. ومما جاء فِي الشرع الصلاة وأصله فِي لغتهم: الدُّعاء. وَقَدْ كانوا عَرفوا الركوعَ والسجودَ، وإن لَمْ يكن عَلَى هَذِهِ الهيئة))[١١]، فالتغيير في المجتمع الجاهلي بدأ بتغيير المفاهيم اللغوية التي درج العرب على استعمالها ومن ثم تغيير نمطية التفكير بولوج أفق جديد يبدأ من اللغة. ومن هنا كانت دراسة اللهجة العراقية وأثر خطاب المرحلة في دلالاتها مهمة لأن ((الأمة تفصح عن روحها بالكلمات التي تستعملها))[١٢]. **فاللغة تفصح** عن طبيعة الثقافة السائدة في المجتمع بخصوصياتها الآنية فـ (لغة كل شعب هي روحه، وإن روح كل شعب هي لغته))، وأكد هومبولت أن ((اللغة هي المظهر الذي يكشف عن عقل الأمة، فاللغة هي عقلها وعقلها هو لغتها))[١٣].

وهذا ما نسعى خلفه. نريد أن نقدم بحثا علميا وموضوعيا للحياة التي سادت في مجتمعنا العراقي في حقبة الثمانيات والتسعينات والتي هزت ثوابت المجتمع العراقي المتماسك، فكان لها الأثر في أحداث التفكك الذي مهد لكل مصائب المراحل القادمة.

دلالات الألفاظ تتطور لتتلاءم مع خطاب السلطة

لقد كانت السلطة تخشى المجتمع وتحذره حذرا بالغا حتى في استعمالاتها اللغوية، فوجدناها تبتعد عن كل الألفاظ التي يمكن ان تثير نزوعه نحو التمرد عليها فعلى سبيل المثال لفظة (المسيرة) هي المسافة التي يسار فيها من الأرض، جاء في الحديث الشريف ((نصرت بالرعب مسيرة شهر))[١٤]

ولكن السلطة استعملتها للخروج إلى الشوارع للتظاهر تأييدا لقراراتها (الحكيمة) أو احتجاجا على بعض المواقف المعادية لها، وكانت تستنفر لهذه المسيرة جميع دوائر الدولة ومرافقها فتجد جميع الموظفين وطلاب المدارس والكسبة مجبرين على الخروج والهتاف لما تريده السلطة وتؤيده. ولم يستعمل خطاب السلطة وقتئذ لفظة (التظاهرة) وهي الأصلح للتعبير ولكن النظام فيما يبدو كان يتطير من هذه اللفظة لما تحمله من دلالات على الاعتراض وعدم الموافقة، فتطورت دلالة (مسيرة) لمعنى لم يكن لها من قبل.

ورد في معجم المعاني: ((تظاهُرة: (اسم) اسم مرَّة من تظاهرَ/ تظاهرَ بـ، خروج النَّاس إلى الشوارع مجتمعين تعبيرًا عن رأي أو احتجاجًا على فعل أو قول أو مطالبين بأمر يريدونه تظاهرة شعبيَّة/ طلاّبيَّة))[١٥]، وشتان بين معنى السير وقطع البلاد طولا وعرضا لمصلحة النظام وبين التعبير عن الرأي والاحتجاج والمطالبة وفوق هذا الخروج مجتمعين وكلها أمور ألجمها النظام وصارت من المحرمات نطقا وفعلا ودليلها شعار الحزب: "نفذ ثم ناقش"، حيث يكون الكلام بلا معنى في حين تثير كلمة تظاهرة معنى معاكسا لأدبيات الحزب والثورة.

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى ارتبطت التظاهرات بحركة ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣، التصحيحية حسب رأي قادتها أو انقلاب أو ردة تشرين السوداء حسب رأي معارضيها البعثيين في عقول الناس الذين ما يزال الكثير منهم ممن شهد ذلك على قيد الحياة.

ومن الطريف أن نذكر أن خروج التظاهرات التي عمت البلاد وقتها لبيعة الحاكم بأمر منه عبر عنها الاعلام بأنها: "مسيرات عفوية نظمتها الدولة". وفي هذا التعبير ما فيه من تضمين على ان الدولة ممسكة بزمام الأمور كلها فلا مكان للعفوية ما لم تنتظم تحت لواء النظام الحاكم ومسمياته.

ومن دلالات الألفاظ التي تطورت لتتلاءم مع خطاب السلطة ملفوظة: حزب أو حزبي، فلم يحكم العراق في تلك الحقبة سوى حزب واحد هو حزب البعث العربي الاشتراكي، ولم يسمح لأي حزب آخر ممارسة نشاطه سريا أو علنيا من هنا أثر نظام الحزب الواحد على الاستعمال اللغوي لهذه اللفظة عند العراقيين، فإذا قلت (الحزب) سوف لا ينصرف ذهن السامع إلا إلى ذلك الحزب الذي يحكم العراق، وعندما تقول: (هذا حزبي)، فذلك يعني أنه أحد أفراد حزب البعث ولا يتبادر إلى الذهن غير هذا المدلول الذي يشير إلى الذين يرتدون الملابس الزيتونية اللون. وهو لباس كان يفرضه الحزب على أفراده زمن حرب الخليج الأولى (القادسية) وفيه شفرة لونية تدعو لتحكم النظام في الفصل بين من ينتمون للحزب ومن يساقون من قبلهم من عامة الناس.

آليات المجتمع العراقي لمواجهة لغة السلطة

قبع المجتمع العراقي في ظل سلطة قمعية قسرية أثرت على الإنسان في مختلف مناحي حياته فشهد المجتمع وقتئذ تحولات وتغيرات حياتية نجمت عن محاولة فرض السلطة المطلقة وحكم الحزب الواحد وإسكات كل من ينبز السلطة ورموزها المقدسة إسكات موت فضلا عن اتخاذ السلطة لقرار الحرب مع إيران الذي جعلها

تمضي في إحكام السيطرة ورفض كل أنواع الاعتراض أو المساءلة الحرة لكل تخبطاتها، وهذا ما لم يحدث في العراق من قبل بمثل هذه السطوة والجبروت وعدم الورع عن إراقة الدم أو انتهاك الحرمة، ويبدو أن أفراد المجتمع العراقي ظلوا واجفين لمدة فقد صدمتهم السلطة بعنجهيتها واستبدادها، ولكن بعد مرور الوقت تداركوا محنتهم فابتكروا وسائل وآليات تواجه السلطة في خطابها الذي تحاول من خلاله بسط سيطرتها ونفوذها عليهم، فاستعملوا ألفاظ خطابها اللغوي ولكن بنحو يعبر عن فرديتهم، ولا يجعلهم يذوبون في رؤى الحاكم المستبد.

إن التداخل بين السلطة وأبناء المجتمع المعارضين للسلطة أو السائرين في ركبها يستمدون من خطاب السلطة قدرتهم على التواصل نظرا لشيوعه بوصفه خطابا مهيمنا هيمنة كبيرة على حياة الناس، لذا كان لزاما على الناس التحرك في إطار السبل المقبولة في مواجهة السلطة، ومعارضتها ومن ثم تقويضها. ومن أهم تجليات تمظهر خطاب السلطة في اللهجة العراقية يكمن في:

١. عسكرة ألفاظ المحكية العراقية

إن انتشار المعتقلات في الزمن البائد تزامن مع انتشار لغة الفئة الحاكمة التي فرضتها كلغة رسمية في مناسبات الدولة. فالسجن يحاول صنع الشخصية المنضبطة غير الساعية لتحدي السلطة. والمدرسة لديهما الغرض نفسه لذلك نرى إطلاق العبارات النارية في مراسيم رفع العلم يوم الخميس ولبس الطالبات الرافعات للعلم الزي العسكري. وتدريب الكوادر التعليمية في وزارتي التربية والتعليم العالي على استعمال السلاح تحت مسميات مختلفة أخرها يوم النخوة وجيش القدس وقد تحول البلد حقا إلى ثكنة عسكرية لتحكم السلطة قبضتها لأن الجيش وقوانينه تتطلب انضباطا وحزما وهو ما يريده النظام. وكذلك لكسر روح المواجهة من خلال خلق الجسد المنضبط.

إن التباين الطبقي ينعكس فيما تستخدمه كل طبقة من كلمات بدلالات تختلف عن استعمال طبقة أخرى، وهذا التباين غالبا ما يأتي مما تزاوله كل طبقة من أعمال وتضطلع به من وظائف، وحيث أن الحرب العراقية الإيرانية (القادسية) دامت ثماني سنوات وبعدها حرب الخليج الثانية (أم المعارك) فإن المهنة التي سادت في البلاد هي العسكرية. فالجميع في جبهات القتال لمدد تطول أو تقصر بغض النظر عن تحصيل العراقي الدراسي أو مهنته الحقيقة التي كان قبلا يكسب منها لقمة العيش، لذا سادت في المجتمع الألفاظ العسكرية حقيقة أو مجازا حتى تغلغلت هذه الألفاظ في الحياة المدنية وهيمنت على لغة السلم في المدن البعيدة عن جبهات القتال. وما تزال هذه الألفاظ قيد الاستعمال حتى بعد سقوط النظام.

يقول أوستن: ((فإذا كان هناك موضوع من الموضوعات يسيطر على عقولنا ويستحوذ على أفكارنا، فإنه لامناص أن يوجد لدينا ميلا طبيعيا نحو الإفصاح عنه، وذلك بتناوله بالحديث فإن لم نتمكن من ذلك كما هو الشأن أحيانا، فلا أقل أن نشير إليه بالاقتباس من مصطلحاته ولو كان الحديث في ذاته يتعلق بأشياء أخرى ويوضح هذا ما نراه في أثناء الحرب من سيطرة الشؤون الحربية على كل مجالات الحياة سيطرة تؤدي إلى استعمال العبارات والمصطلحات الحربية وتطبيقها بحرية تامة على الموضوعات والمسائل الأخرى))[١٦].

وخلال سنوات الحرب التي رسمت أحداثها الدامية تفاصيل حياة الإنسان العراقي الذي عانى شدة وطأتها عليه كان لتلك العبارات التي يصاغ بها الخطاب السياسي في تلك الحقبة أثر على الاستعمال اللغوي، وبعبارة أخرى إن ما مرت به البلاد من ظروف جعلت اللغة تقولب أفكارهم واستعاراتهم اللغوية فيكفي أن تطّلع على قائمة المفردات اليومية لتتأكد أن

الحرب بتفاصيلها كانت حاضرة في عبارات العراقيين وكلماتهم؛ وذلك لأن ((قائمة المفردات الشائعة في مجتمع معين يمكن أن يعطيك مؤشرا أوليا جيدا عما يمكن أن يكون ذا أهمية خاصة بالنسبة لأعضاء هذا المجتمع))[١٧]

ومن الألفاظ العسكرية التي أخذت طريقها إلى الحياة المدنية في الاستعمال اليومي للفرد العراقي تسميتهم لياقة القميص (سمتية) والسمتية هي المروحية أو الطائرة العمودية التي كان العراقيون يرونها كثيرا في الحرب على مرمى من نظرهم تجوب سماء الوطن غادية وعائدة، فعلقت في أذهانهم فاستعاروها للتعبير عن تلك الياقة التي تنماز بكبرها وحدة زاويتها.

واستعار العراقيون لفظة (دبابة) لتسمية نوع من الأحذية، وذلك لما يتميز كعبه من ضخامة في مقدمة الحذاء ومؤخرته. واستأنس بعض العراقيين بعبارة (قوات التدخل السريع) التي صاروا يسمعونها كثيرا في نشرات الأخبار فأطلقوها على مَنْ يحلّ المشكلات المستعصية بزمن قياسي كناية عن حسن تدخله الحاسم كملجأ أخير قبل الاستسلام.

وكان يحلو لبعضهم أن يطلقوا على من ترتدي الحجاب وقتئذ تسمية (القوات الخاصة) لما تتميز به من صلابة في حماية عفتها والالتزام بدينها. وقد طوروا هذه الاستعارة بأن كانوا يقولون عن المحجبة المتساهلة بحجابها أنها: قوات خاصة لكن بلا مهارة وصنف. والمهارة والصنف مخصصات مالية تصرف للقوات الخاصة بعد انتهاء فترة تدريبهم وتثبيتهم في ذلك الصنف.

ولا أنسى استعارة أمي لمفردة (غارة) التي كانت مع بداية الحرب مع إيران شيئا مخوفا وجديدا، ولاسيما أن صوت إنذارها بغيض. فقد كانت تصف لأبي إحدى نوبات العراك التي حدثت بيننا حينما كنا أطفالا، فقالت إن أحدنا أغار على الآخر لتوفر باستعارتها هذه عنصر المفاجأة والسرعة فضلا على خبث النية. وقبل ذلك لم يعش العراقيون أجواء الغارات، ولا دخلت هذه الملفوظة في قاموس مفرداتهم اليومية. فكان استخدامها أسرع في استحضار قوة العراك وعنفه إلى الذهن.

ومن الاستعمالات التي تعكس حياة الحرب التي عاشها الفرد العراقي وكان صداها فيما يستعمله من لغة، استعارة لفظة (قادسية) على الخلاف العائلي الذي قد يدور في البيت أو غير العائلي في خارج المنزل فتتعالى فيه الأصوات وقد تطول الأيدي، فكانوا يقولون: (أسويها قادسية) أو (صارت عندنا قادسية) أو (فلان سوه قادسية)، فيفهم السامع أن خلافا وعراكا شديدا قد دارت رحاه. ولأن القادسية كانت من أكثر الحروب شراسة، فقد استعارها العراقي ليعبر بها عن ضراوة العراك الذي حصل له مع الآخرين وشدته مع الإشارة إلى طول مدته وتعذر الصلح فيه.

وفي سياق هذا المفهوم أيضا يقال عن نوبة الغضب التي تنتاب الشخص وتعنيفه من حوله في تلك النوبة دون أن يترك لهم مجالا للرد عليه: (سووه بيهم هجوم فاشل). للتعبير عن تراجعهم وتشتتهم وخسارتهم أمامه. وأذكر مرة قالت لي إحدى الزميلات: (إذا تركنا الأطفال بالبيت وحدهم يسقط البيت عسكريًا). كناية عن شكاسة الأطفال. وخالتي كانت تصف خالي الذي لا يتورع عن شيء: (عنده انفلات أمني). أما جملة "الصولة بأضعف جندي" فكان يستخدمها العراقي عندما يمشي جماعة من الناس ويتخلف أحدهم عن مواكبة سيرهم السريع فيقولها لهم أو عندما يأكلون بسرعة وهو بطيء.

ومن الاستعارات التي شاعت في المجتمع العراقي في هذه الحقبة عبارة (التصنيع العسكري)، فقد سعى النظام إلى عسكرة مصانع الدولة العراقية وتوجيهها إلى الصناعة العسكرية لرفد الجبهات وتطوير السلاح وكان الخطاب الإعلامي للسلطة يعلن كل يوم في خبر عن منجز تطوري في صناعة الأسلحة ولاسيما في تقنيات الصواريخ وكانت الإذاعة العراقية تصدح بأغان تمجد هذا التصنيع، فما كان من الشعب الموهوم والمغلوب على أمره إلا أن يتأثر بذلك الخطاب ويتداول هذه اللفظة في حياته فكان كل من ينجز شيئا صعبا معجبا ويُسأل عنه يجيب أنه (تصنيع عسكري) أي أنه من إبداعاته حتى لو كان الشيء طبخة

تبدع في طبخها ربة المنزل، وذلك لأن التصنيع العسكري الذي أراده النظام هو في الحقيقة تحدي إعلامي بأن العراق قادر على تصنيع أصعب الآلات الحربية وأدقها. ومن هنا كانت الاستعارة الشعبية لهذه العبارة.

وابتكر بعض الشباب العراقي في الجامعات العراقية لفظة (اللغم الحزين) للفتاة الانطوائية الكئيبة كجزء من تأثرهم بمصطلحات الحرب التي فرضت على المجتمع، فدارت ألفاظه في فلكها. والحق أن نصيب المرأة من هذه الألفاظ العسكرية كان كثيرا نظرا للطابع المحافظ للمجتمع العراقي فكانت هذه الاستعارات والكنايات متوافقة مع الجو العسكري الذي لف البلاد من أقصاها إلى أقصاها، فالمرأة لا تكتمل أناقتها إلا بالحقيبة فكان يحلو للبعض أن يقول: (المرأة بلا حقيبة مثل الضابط بلا مسدس) يعني بذلك أن هيبة المرأة بحقيبتها كما أن هيبة الضابط بمسدسه.

وتسللت الألفاظ العسكرية تسللا لا فكاك منه في العامية العراقية، فيقال: (سوالهم تعداد) أي لامهم وعنفهم بشدة، والتعداد من الألفاظ العسكرية والتي يضبط به عدد الجنود ويحاسبون فيه عن كل تقصير. أما الذي يبقى في مكان بعد أن يغادر الجميع فكانوا يستعيرون له عبارة (خفر قاعة). ويقولون للطفل الذي ينفلت عندما يزور أقاربه (ينرادله أسبوع ضبط) وهو أسبوع مثقل بالواجبات يفرض على الجندي بعد رجوعه من الإجازة فيكون متمردا بسبب حزنه لفراق أهله والعيش تحت ظل الموت. وقد أدخل العراقيون هذه الألفاظ بذكاء ممزوج بسخرية من الذين جعلوها خبز الناس وماءهم.

ومن الألفاظ التي فرضتها وأشاعتها أجواء الحرب المتطاولة التي تعايش معها العراقيون لفظة (قصف بمنتصف الجبهة، أو قصفه، أو انقصف أو أي اشتقاق من مادة (ق ص ف) التي كانت تعني في العربية الفصحى كما يقول الخليل بن أحمد: ((القصف كَسْرُ قَناةٍ ونحوها نِصْفَينِ، يقال قصفتها إذا انكسرت ولم تَبِنْ، فإذا بانَتْ قيل انقَصَفَتْ. ورجل قَصِفٌ: سريع الانكسار عن النجدة. وانقَصَف القوم عن كذا إذا خلوا عنه فترةً وخِذلانا. والقصف: اللعب واللهو. والقاصف الريح الشديدة تقصف الشجرة أي تكسرها))[١٨]. ومن قصف الريح للشجر جاء في معجم العربية المعاصرة قولهم: قصف المكان إذا ضُرب بالقنابل والمدافع والقذائف بشدة وقوة. ولظروف الحرب سمع العراقيون هذه اللفظة كثيرا من خلال خطاب السلطة الموجه إليهم فما كان من المحكية العراقية إلا أن قامت بتوظيف هذه اللفظة للتعبير عن الكلام الذي ينزل على سامعه مثل الصاعقة في مواقف اللوم أو التأنيب وربّما المواجهة بالحقيقة التي يصعب على من قصد بهذا الكلام سماعها. وقد شاعت في العامية العراقية بهذا المعنى الجديد وصارت أبلغ عندهم من استعمال أي من الألفاظ التي يمكن أن ترادفها. وهذا عائد إلى أن حروب العراق المتطاولة جعلت بعض الألفاظ تفقد تأثيرها فكإن المجتمع كان يبحث عن لفظة تستهوي مزاجه المتأثر بالعنف الذي يحيط به فما أن استعمل أحدهم هذه اللفظة مجازا حتى تلقفتها الألسن وضمتها إلى معجماتها وأشاعت استعمالها.

وهذا التحدي للسلطة لم يأت بعد أن ارتخت قبضة النظام على الناس بل قبل ذلك بكثير؛ إذ بدأ والسلطة في أوج قوتها وبطشها حيث كان التحدي يتخذ شكلا ساخرا محببا يثير الابتسام إذا ما سمعته ولا يمعن في التحدي السافر. نذكر من ذلك مناداة بائعة القيمر في كراج البصرة الذي يعج بالجنود الذين يلتحقون بوحداتهم العسكرية بعد انتهاء إجازاتهم بقولها: "گيمر للضارب الغاية". وتعني بذلك مدة إجازة الجندي (من... لغاية....). فكان الذي يتغيب يوما واحدا ويمسك به الانضباط العسكري (الذين يسميهم الجنود الزنابير إشارة إلى تكالبهم على الجندي المتغيب) يسجن ويحرم من الإجازة وقد يعدم إذا تغيب وقت الهجوم. فالبائعة هنا تشيد بشجاعة الجندي الذي يتحدى الموت ويغيب بعد انتهاء إجازته فيكون جديرا بالقيمر الذي تبيعه. وفي هذه المناداة على البضاعة من الطرافة ما فيه من التحدي كما أن فيه حس الفكاهة الجريء الذي يتمتع به أهل الجنوب لما لاقوه من قمع جعلهم يبدعون في ضرباتهم الاستباقية عندما يكون الهجوم عشوائيًا.

ولعل ما أصاب اللهجة العراقية خلال هذه الحقبة هو العنف الناتج من أجواء الحرب والقمع المبالغ فيه، فكانت البلاد تعيش حالة الحرب في الجبهات وفي المدن بصورة طاغية ومهيمنة على تفاصيل حياة المواطن وتعرَّف الأولاد الصغار على الأسماء الصعبة للأسلحة بمختلف أصنافها بعد أن شاع استعمالها وتداولها في المجتمع العراقي، مثل: (سيخوي، راجمة، بمبكشة، هاون، صاروخ الحسين، صاروخ سكود، وغيرها)، وكانت الأغاني الحماسية تُرسِخ هذه المعارف في ذهن الناس ومنهم الأطفال لأنهم كانوا يتعايشون معها فهم مجبرون على سماعها ومن ثم امتزاجها باللاوعي فتحدث أثرا واضحا سيظهر فيما بعد في الأغاني الرومانسية التي بدأت تنتشر في التسعينات، مثل قول أحدهم وهذا جزء من أغنية نالت شهرة في وقتها يقول فيها المغني:

(هدد كسر حطم دمر والعب على أعصابي
ثور وحول بيتي جهنم وسمع كل أصحابي)

يمكن أن تكون هذه الأغنية من الأغنيات العاطفية الأولى التي ابتعد فيها المؤلف عن ألفاظ الرومانسية والرقة التي كنا نجدها في الأغنيات العاطفية لاسيما في حقبة السبعينات، وقد لاقت هذه الأغنية رواجا منقطع النظير فقد توافقت مع المزاج العام الذي طبع المجتمع العراقي بطابع العنف. ولعل السبب يعود أيضا الى صعوبة الإحساس بالحب دون الشعور بالذنب لفقدان عزيز أكلته الحرب أو موت محب حزنا. فكأن الكلمات التي تتسم بالرقة والعذوبة تعجز عن أداء المشاعر الرقيقة ووصفها. وقد عبرت شهرتها كل أرجاء الوطن العربي وعُدّ ذلك تجديدا أحبته الجماهير التي أسست سيكولوجيا على تقدير العنف.

ولأن السلطة كانت تريد تسويق الحرب وإدخالها في كل مفاصل الحياة، وحيث إن برامج التلفاز والإذاعة منحصرة بالحرب وقضاياها، عمدت إلى تشكيل الفن بالألحان الراقصة لكن بكلمات عنف الموت وقسوة مواجهته؛ لأنه كلما تزايد قلق الموت تزايدت الرغبة بالحياة التي تمثلت بامتزاج صور الزفاف بكفن الموت وشراسة مواجهته.

ولعل أول أغنية تغنت بالحرب بلحن راقص هي أغنية للشاعر العراقي كاظم إسماعيل الكاطع، وألحان علي عبد الله التي كانت تبث يوميا وقت الحرب العراقية الإيرانية. تقول كلماتها:

ياكاع ترابج كافوري
ع الساتر هلهل شاجوري
للساتر كلنا تعنينا
رجعنا الراد يلاوينا
مكسور ذراع
اي والله وعونج يا كاع
دار العدوان نساويها
ونخلي اسفلها بعاليها
ذولة أحنة سباع

والمفارقة بين كلمات الأغنية ومكان أداؤها في الأعراس ينبئ عن مدى تغلغل الحرب بكل معطياتها في مفاصل الحياة العراقية وبقاء هذا التأثير حتى بعد انتهاء الحرب وسقوط النظام. ففيها من العنف والقوة المادية التي ترد العدو عن أرضهم التي هي أصلا حنوط أمواتهم وصوت السلاح هو زغاريد الأعراس في مزاوجة تجعل من هذه المفارقة والحماسة المصاحبة للحن

السريع الراقص مادة جيدة للعزف والغناء في الاحتفالات. وقد امتد تأثير هذه الأغنية حتى تغنى بها المعتصمون في ساحة التحرير في انتفاضة تشرين عام ٢٠١٩ ومنهم جوان حسين بعد تحوير كلماتها. فأصبحت:

يا ساحة ترابج كافوري
ع المطعم هلهل شاجوري
بالتكتك كلنا تعنينا
رجعنا الراد يلاوينا
مكسور ذراع
اي والله وعونج يا كاع

فانتقلت بذلك من الأجواء الاحتفالية لتعود الى ساحات المواجهة والموت مع سلطة لا تقل شراسة وقمعا عن سابقتها.

ويستمر تصاعد العنف في الساحة العراقية بعد سقوط النظام، فيخطو في الأغنيات مديات تستوقف الباحث فقد استهوى الناس أن تتخذ من أشدها حماسة وعنفا ما تتغنى به في مناسباتها السعيدة، وفي كل هذه الأغنيات نجد الموت فيها حاضرا، ولكنه تافه يهرب من مواجهة بطولة المطرب أو المنشد. ويكفي مراجعة كلمات الأغنية التي أجدها الأشهر وهي أغنية (يا ستار) التي يقول كاتبها حيدر الأسير:

يا ستار يا ستار
بين زودنه من بعيد البطل ع الموت لا ميهيد
منخاف احنه أيد بأيد نسويهة الزلم طشار
يا ستار يا ستار
بالروح والدم أفديهه هالكاع شحدة ايطب بيهه
الطلقات اني مخاويها... للمنشار
واشهك بارود بريتي ع العوز صارت تربيتي ميفوت أي حاقد بيتي... خطار
خزرة من عيونه الكل يهابونه الموت يسمونه.. معزب للكلفة.. بي كي سي بجفة رايح للزفة. بدمه محنينه
يا ستار يا ستار
عدنه المكبرة مشوار عدنه بيهه ألف تذكار
...

فكلنا عاش تلك الأغنيات الحماسية في زمن النظام السابق ولكن لم يكن عنفها بحجم العنف الذي نجده في مثل هذه الأغنيات فضلا عن تلحينها بلحن موسيقاه عنيفة في قوتها وسرعتها ولكنها استهوت معظم طبقات المجتمع العراقي.

بالمقارنة بين الأغنيتين نجد أغنية عونج يا كاع تركز على أمر واحد الا وهو الحرب والعدو في احتفالية جماعية (كلنا تعنينا) تجعل من الحرب لعبة ومن الموت أمنية، فالتركيز هنا على العمل الجماعي لكن إذا فاضت نيتهم بالغيظ فإن رأس النظام سيصحح مسيرتهم كما يصحح الشراع مسار السفينة، أي انهم يموتون من أجل القائد الملهم. في حين أن أغنية ياستار تركز على تضحية الفرد الشخصية من أجل وطنه وهو بعد شجاع وكريم. وإذا هجم على الموت فلأن له في المقبرة ألف تذكار لا معنى للحياة بعدهم. هذا العنف في الكلمات واللحن يخفي في طياته ألما وجروحا لم يتمكن الزمن من مداواتها. كما يمثل ضياع القيادة واستلهام العمل الفردي لإحداث التغيير.

٢. الاستعمال اللغوي الموازي لخطاب السلطة في المحكية العراقية

إن سيطرة السلطة على مفاصل الحياة العراقية كونها ((حاضرة في أكثر الآليات التي تتحكم في التبادل الاجتماعي رهافة من الدولة وعند الطبقات والجماعات، ولكن أيضا في أشكال الموضة والآراء الشائعة والمهرجانات والألعاب والمحافل الرياضية والأخبار والعلاقات الأسرية الخاصة، بل وحتى عند الحركات التحررية التي تسعى إلى معارضتها))[١٩]. وهذا يجعل الإفلات من سيطرة خطاب السلطة أمرا مستحيلا لأن طبقات المجتمع تستمد من خطاب السلطة مادة تواصلها وهو الخطاب السائد والشائع والمهيمن على حياة الناس، فلم يعد ممكنا لأي أحد أن يستعمل خطابا غيره لأنه سيفقد حينئذ تواصله الذي يجعله معرضا لأدوات القمع، فكان لابد من استمرار التواصل في إطار خطاب السلطة ولغتها وهذا ما عمل عليه الناس في المجتمع العراقي.

وحيث أنه كان العراقي يضيق ذرعا بسياسة النظام وتخبطاته، ولم يكن مسموحا له بالاحتجاج لأن ثقافة الاحتجاج السياسي لا وجود لها، فكان يلجأ إلى أساليب تميزت بالطرافة والذكاء البالغ والحذق اللافت معتمدا على اللغة التي لا تنفك عن خدمة متطلبات المتكلمين بها في الأزمات. وهذا يفسر لنا تغيير العراقيين لمعاني بعض المفردات المستعملة من السلطة إلى معاني يفهمها الناس على خلاف ما تريده السلطة فيكون بمثابة خلق لغة أخرى موازية للغة السلطة تشابهها بالمفردات وتضادها في الدلالات، فتحدث رؤية معارضة لرؤية السلطة بل مقاومة لها ولكن سلمية ولا تدركها السلطة، أو إن السلطة أدركتها لكنها لم تتمكن من اتخاذ إجراءات قمعية إزائها لأن ذلك سيعني المزيد من التحدي ورفع غطاء الهيمنة السلمية التي فرضتها طبيعة الحرب الطويلة. وهنا يفعل الذكاء والقدرة على توظيف اللغة بطريقة استعارية فيجلب التشابه والاختلاف حيث يكون واضحا وغير مدرك من السلطة، يقول كارول جي لد: ((إن إدراك الظواهر وبالتالي المقولات اللغوية التي تعبر عن هذا الإدراك ليس عملية مغلقة وكاملة بشكل نهائي وإنما هي عملية مفتوحة ومتجددة ومتغيرة ومن ثم فليس هناك ما يمكن أن نسميه بالإدراك الصحيح المطلق وذلك لأن أي إدراك هو مسألة سياق))[٢٠]. فالخطاب الذي يتعامل به أبناء الشعب العراقي مختلف تماما عن الذي تدعيه السلطة في خطابها لذلك عندما يستعمل العراقي خطابها في حياته اليومية لا يمكن أن يتعلق ذهنه بسياقات خطاب السلطة بل يكون بالاتجاه المضاد لها. وسبب ذلك أن التحكم باللغة بهذه الطريقة في مواجهة نوايا السلطة الحاكمة هي وسيلة للنجاة فأي خطأ قد يعني (الإعدام) لذلك استنفروا ذكاءهم وقدرتهم على استعمال الاستعارة على نحو ينجيهم من العقاب (الموت) وفي الوقت نفسه حققوا مطالب أرواحهم الطامحة إلى الاحتجاج السياسي على سلطة لا يمكن أن ترضى به.

ومن أشهر العبارات التي كان خطاب السلطة الإعلامي يذيل به حديثه عن العراق هو قولهم: (العراق يزهو بالنصر) وكانت مصائب الحرب وويلاتها تلون حياة العراقيين بألوان قاتمة وتنزع أخبار الجبهات الفرحة من قلوب الأمهات وتزرع الدمعة في عيونهن التي ما فتئت تودع الأبناء على أمل العودة بسلام لا يظفر به إلا ما رحم ربي. فكان يحلو لبعضهم إذا سألته عن أحواله بقولك: كيف أنتَ؟ أن يجيبك (أزهو بالنصر)، وهي عبارة لا يمكن أن تقبل جوابا عن سؤال الأحوال ولكنها تعكس مرارة لا يعرفها إلا من خبر تلك الأزمنة وعاش في هذه الحقبة، فالعراقي آنذاك يفهم وجه الاستعارة والتي لا يمكن أن تعني عنده في ضوء هذا السياق إلا عظم الهمّ الذي يرزح تحته، فكأن لسان حاله يقول إن صراعه مع الصعوبات التي ما تزال تحيطه قد توج بالنصر لكنه نصر المهزوم. كما كان رمز السلطة كلما مني بهزيمة في أحد المعارك يخطب في الناس ويدعي النصر الذي يزهو به العراق والعراقيون. من هنا كانت السخرية من هذا التعبير الذي يدل على كذب صاحبه ومعرفته بأنه يكذب. وهي بعد تنبأ عن حسن المظهر وتداعي الجوهر.

ولفظ (الماجدة) من الألفاظ التي شاعت في خطاب السلطة في وصف المرأة العراقية التي أرادتها السلطة أن تدعم الحزب والثورة فيما يخوضون من حروب عن طريق الإنجاب تارة وعن طريق تنشئة جيل يسير في ركاب السلطة وأهدافها تارة أخرى، فكنا نقرأ في إحدى الجداريات التابعة لاتحاد نساء العراق (سنرد على العدوان الإيراني بمزيد من الإنجاب)) أي إن مسؤولية (الماجدة) هو الإتيان بمزيد من الحطب لهذه المحرقة التي تأكل أبناءها، وردا على هذا النسق في خطاب السلطة الذي حدد مهمة المرأة في إنجاب الجنود الذين يخدمون السلطة راح العراقيون يستعيرون لفظة (الماجدة) لوصف المرأة السيئة السمعة، أو تلك التي لا تروق لهم تصرفاتها وأفعالها. مما يعني أن اللفظة تعرضت للابتذال بسبب الرغبة الكامنة لدى العراقي في معاداة خطاب السلطة ومحاولة التمرد عليه بتضمينه معنى عاهرة السلطة ان استجابت للدور الذي ترسمه لها السلطة.

وكان رمز السلطة يطلق بعض التعابير من خلال الخطب التي يلقيها، فما يكون من الرفاق (رموز السلطة الأدنى مرتبة) إلا أن يستعملونها في معاملاتهم وخطاباتهم اليومية من أجل إشاعتها بين الناس لجعل ثقافة السلطة هي السائدة.

ومن هذه العبارات (شوكت تهتز الشوارب) التي عنى بها رمز السلطة إثارة الحمية والغيرة، وقد شاعت هذه اللفظة نظرا لطرافتها بين العراقيين. أذكر أن أمي كانت تقولها اذا تأخرنا في تحضير العشاء: (شوكت تهتز الشوارب وتسوون عشاء). فهذا مثال على استعمالها للسخرية في المواقف التافهة، ولإعطاء دلالة معاكسة، وهذا ما جعل مدرسة (المهج) الابتدائية في راغبة خاتون تزيل البوستر الذي خطت فيه هذه العبارة من على جدارها المطل على الشارع الرئيسي، لأنه كان مثار سخرية أرادت رموز السلطة وأدها وتناسيها بعد أن صارت لها دلالة معاكسة لا تريدها، وهذا يخبرك عن وعي السلطة بابتذال خطابها من العامة وبقلة حيلتها في منعه.

والحق أن التحايل على لغة الحاكم والمناورة بالمفردات القليلة التي تركت قيد الاستعمال ليس الغاية منها السخرية أو عكس المعنى فحسب، بل هو أحيانا طوق النجاة من قبضة الحاكم الشديدة على الناس، فلا أحد يستطيع الإفلات منها في الحياة اليومية لذلك سعى الناس إلى التصرف في اللغة باختراع لغة موازية للغة الحاكم لكن دلالاتها من واقع المواطن العادي الذي لا ينتمي إلى السلطة، والذي يرفض هيمنة الظالم؛ لكنه يعجز عن الإفلات، فتصير اللغة هنا مفتاحا للهروب من سجن الحاكم المادي والمعنوي.

٣. تشفير اللغة

استخدم العراقيون اللغة المشفرة للتعبير عما يريدون قوله دون استفزاز ازلام النظام والتعرض لغضب السلطة وتحمل تبعات هذا الغضب. وفي هذا التشفير احترافية عالية تدل على ذكاء مبتدعها بل عبقريته. من ذلك إطلاق لفظة ٥٦ على الشخص الكاذب المحتال. اشتق العراقيون هذا المصطلح من المادة ٤٥٦ من قانون العقوبات العراقي رقم ١١١ لسنة ١٩٦٩، وهي المادة الخاصة بجرائم النصب والاحتيال. وبسؤال الكثيرين ممن عاصر تلك الحقبة اعتقد أن فكرة استخدام الرقم ٥٦ جاءت من الفلم المصري ناصر ٥٦ الذي عرض في سنة ١٩٩٦. ويمكن القول ان الرقم تزامن مع عرض الفلم فابتدع العراقي هذه اللفظة ناصر ٥٦ التي يعني عكسها تماما ثم صار يذكر الرقم فقط مزيد من التعمية وعدم اثارة الشكوك. وقد شاعت كثيرا بعد الألفين لوصف كل فعل فيه لف ودوران وكل شخص أو مؤسسة تستند على الاحتيال. وقد اختصرها الناس فقالوا ٥٦ فقط. ولكن من المؤكد أن عند من اخترعها معرفة بالقانون او قد يكون سجينا على هذه المادة.اذ كان السجناء يعرفون انفسهم بنص المادة التي حكموا بسببها فيقول مثلاً: انا حارث ٤٥٦.

لقد غير الناس المفاهيم التي فرضتها السلطة الحاكمة الى مفاهيم بديلة. وقد شاع زمن الحصار النقود المزورة، وكانت طريقة التعرف على العملة الأصيلة من المزورة أن فيها خط ونخلة وفسفورة يراها الشخص عند رفع العملة أمام الضوء. فكان الذي يذهب للسوق يقف حتى يدقق البائع نقوده هل بها خط ونخلة وفسفورة؟ وفي هذا الأمر كثير من عدم الثقة وامتهان لكرامة الشاري الذي ربما تكون نقوده هي راتبه الذي قبضه من بنك الدولة الرسمي. صار الناس يستخدمونها لبيان أصالة الشيء أو الشخص: "فلان أصلي. يعني خط ونخلة وفسفورة". عكس ما كان شائعا حينها من معنى سلبي ضمني.

ولكثرة الاعتقالات على الظنة والشبهة التي شاعت حينها في غطاء إرهابي الغاية منة تكميم الأفواه ومنع الكلام ناهيك عن المعارضة فراح العراقي يستعمل لفظة (ذاك المكان) خوفا من ذكر لفظة السجن في الكلام كي لا تجلب انتباه أزلام النظام. وقد تطورت العبارة فيما بعد لتصبح (في المستشفى) كناية عن السجن. وفي هذه الكناية ما فيها من حقيقة تتوازى مع ما ترمز اليه بأن نزيل المستشفى اما أن يشفى (يطلق سراحه) أو يموت أثناء العملية (يعدم).

٤. ابتداع ألفاظ جديدة للمحظورات اللغوية في لغة السلطة

إن سياق الحياة اليومية في ظل السلطة الفردية هو سياق الإرهاب، ووعي الفرد بضرورة الحذر من وضع نفسه في دائرة المساءلة أمام السلطة الحاكمة، جعله يعمد إلى وضع جملة من المفردات المحرمة التي يتوجب عليه الابتعاد عن ذكرها أو محاولة تغيير تسميتها بنحو ساخر أو جاد بغية إلهاء السلطة وإبعادها عن إدراك ما يعنيه القائل.

فحزب الدعوة كان من أكثر الأحزاب الذي استهدفت السلطة أعضاءه بالإعدام وبأثر رجعي، أي لا يفلت من الإعدام حتى من كان من أعضائه وانسحب منه، وهذا ما جعل ذكر هذا الحزب من المحظورات اللغوية (taboo) التي يجب الابتعاد منها، لأنها من الكلام المحرم الذي يسبب لقائله حرجا[٢١]، ولتجنب ذكر اسمه أبدعوا له تسمية أخرى هي (حزب الدعلج). ومن صفات هذا الحيوان نفهم سبب تسمية حزب الدعوة به. فهو حيوان ليلي من القوارض يمتاز بغطاء من الأشواك الحادة، التي يستخدمها للدفاع عن نفسه من الحيوانات المفترسة[٢٢]. وهي تسمية جاءت من جبهات القتال حيث تعرف الجنود عليه لأول مرة وقت الحرب. ويمكن لأن اسم هذا الحيوان قريب جدا من اسم الدعوة. هذا لمن كان يريد التسمية، أما الأشهر فكان التجاوز عن ذكر اسم هذا الحزب وكأنه جالب للعنة، التي تتمثل في السلطة وقمعها الاستبدادي.

وتجنب الناس الذكر الصريح لرمز السلطة، ربّما لأن (الرفاق) كانوا يوجبون على من يأتي إلى ذكر اسم الرئيس أن يذيله بعبارة (حفظه الله ورعاه) وهذا مما لا يشتهيه العراقي ولا تطيقه نفسه لأنه لا يجد موجبا لذلك، فكان يلجأ لتجنب هذا الحرج أن يبتعد من ذكر اسم رمز السلطة باسمه في كلامه اليومي وأمام أسرته ومن يثق به إمعانا في السلامة، حتى غدا ذلك من العادات اللغوية لهم جعلتنا نرصد عددا من التسميات ومنها: (غليص، وبطيحان، وذاك الرجال، وصاحبنا).

إن الوضع الاجتماعي العام المتسم بإرهاب الدولة، وقسر الناس على تبني معطياتها فيما تريد وتعمل كان بأزائه حرية كبيرة متسعة للجهاز المعرفي للإنسان تسمح له ((بأن يوجد دائما استعمالات جديدة وخلاقة لمعاني الكلمات، وأن يمتلك الإمكانات المبدعة في تشكيل قواعد التركيب أو أن يعيد تصنيف الكلمات في مقولات تركيبية مختلفة))[٢٣].

إن هذا التباين في اختيار الألفاظ التي تدل على المعاني نفسها ليس مجرد اختلاف في طرائق الدلالة، بل هو رؤية الفرد للحياة بنحو متمرد ومغاير لرؤية السلطة وبذلك يشكل اتجاهاته الخاصة في التعامل مع هذه السلطة من خلال اختيار اللفظة التي تدل عليها.

فلفظتي (غليص، وبطيحان) فيهما من التحدي والمواجهة الصرفة لما يمارسه الحاكم من قمع على الناس، كما أن فيه تعريض بلقبيه الأكثر شهرة وتداولا على لسان أزلامه الا وهما: القائد الملهم وبطل النصر والسلام. في حين أن لفظتي (ذاك الرجال، صاحبنا) فيهما رفض ضمني لممارساته الجائرة من غير مواجهة حقيقية، وهي درجة أقل في الوعي والإدراك لمدى الظلم الذي يقع على الناس من خلال تغييب جانب المواجهة، وإعلان حالة الرفض ليكون ضمن سياق الناس الرافضين من دون أن يتخذ موقفا صلبا بكل ما يمليه عليه الموقف من تحديات للسلطة قد تؤدي إلى الاعتقال أو السجن أو الاعدام.

أما لفظة (غليص) فهي في الأصل اسم لشخصية ظالمة في مسلسل اسمه (راس غليص) الذي أنتجه تلفزيون دبي عام ١٩٧٥ وكان أفراد المجتمع العراقي يتابعونه كلهم بحكم عدم وجود أي خيار آخر في حقبة فقر المواد التلفزيونية وشحتها، وكذا الحال في لفظة (بطيحان) هو شخصية ظالمة في مسلسل اسمه (الغريبة) انتج في الأردن سنة ١٩٨١ آثر العراقيون أن يكنوا عن رمز السلطة بهذه الأسماء لأنهم وجدوا تشابها كبيرا بين هاتين الشخصيتين وبين رمز السلطة، في الظلم والتسلط، يقول السيوطي: ((إن الواحد من جفاة العرب إذا وقع طرفه على وحش أو طير غريب، أطلق عليه اسما يشتقه من خلقته أو من فعله ووضعه عليه))[٢٤]، فهذه سنة من سنن العرب في كلامها ويبدو أنها لا تخصص بجفاة العرب الذين قصد بهم العرب الأقحاح أصحاب السليقة السليمة ولكنها سنة يتبعها الناس البسطاء في تسمية الأشياء الغريبة والفريدة وتعريفها.

وأما إطلاقهم عليه (ذاك الرجال) ففيه إبعاد للرجل عن دائرة المتكلمين وهذا يضعهم في مكان لا يصل فيه إليهم. لأنه بالتأكيد كان يريد أن ينتقده وينتقد فعله. فالمتكلم والسامع كلاهما يدرك أن الاسم الصريح يحظر ذكره. وعلى ما في لفظة (صاحبنا) من ألفة بدت في الضمير المتصل (نا) إلا أن المفارقة تكمن في إيجابية اللفظة وسلبية إيحائها لبعده تماما عن صحبتهم.

فهذه الألفاظ حملت ظلالا من المعاني لا يدركها إلا من عايش العراقيين أيام محنتهم مع الطاغية؛ لأن الدلالة الهامشية الاجتماعية ترتبط بتجارب أبناء المجتمع وخبراتهم، إذ تكتسب الكلمة أو العبارة من عدد كبير من أفراد المجتمع مشاعر وعواطف وانفعالات ودلالات طيلة عمرها الاجتماعي ونظرا لكون الإيحاءات التي ترتبط بالكلمة أو العبارة متصلة اتصالا وثيقا بالأحوال الاجتماعية، فإن زوال تلك الأحوال قد يؤدي إلى تفريغ مثل هذه الكلمات من محتواها العاطفي [٢٥] .

وعند استقراء الفترة الزمنية التي ظهرت فيها هذه التسميات لرمز السلطة نجد ان لفظتي (غليص وبطيحان) قد استخدمتا ورمز السلطة في أوج قوته وقسوته في إحكام قبضته على الشعب وقتلهم على الشبهة والظنّة على سيرة الطواغيت الذين سبقوه. في حين أن لفظتا (صاحبنا وذاك الرجال) قد شاعتا بعد هزيمة حرب الخليج الثانية والانتفاضة الشعبانية حين ارتخت قبضة النظام على الشعب وصارت مظاهر التحدي تتجلى من داخل المنظومة الداعمة له. وفي (ذاك الرجال) إبعاد له عن إن ينال الناس بشراسته المعهودة وإقصاء له عن مراكز الخوف التي عمل صنيعته على ترسيخها في عقول الناس فقد صدم تعديه على مزارات المدن المقدسة أكثر الناس تصديقا لخطابه المدعي لأصالته وعروبته.

أما صاحبنا ففيه دلاله على إنزاله من عرش الإله الذي نصب نفسه فيه إلى شخص من عرض الناس. فقد يبدو لأول وهلة أن فيه ألفة واعتدال بالتعبير لكن الحقيقة هي أن هذه اللفظة كسرت حاجز الخوف الذي يضعه في جانب والعراقيون كلهم في الجانب الآخر. وكونه صاحبنا يجعله خارج نطاق هيمنته ومنزوعة منه سطوته. فكل خطاب مسيء إلى الشعب العراقي كان يتمثله هو وصنيعته صار يشمله بدوره لأنه صار "واحدا منا"، صار "صاحبنا".

لقد عشنا تلك الحقبة بكل تفاصيلها الدامية حتى صار الجيل الذي ولد بعد سقوط الصنم يسمينا: ((جيل الحيطان لها آذان)) غامزا جيلنا بالجبن، وذلك في تظاهرات تشرين الأول ٢٠١٩ فلهم نقول: لقد عاش العراقيون في تلك الحقبة والكل

محكوم عليه بالإعدام مع وقف التنفيذ. وإن تحدي لغة السلطة بالطريقة التي أوردناها بمثابة مواجهة مسلحة مع السلطة الحاكمة لا يكون حدودها نهايتك أنت فحسب بل نهاية كل من يمت لك بصلة قربى، لكن ذلك لم يسكتنا ولم يسمح للغة السلطة المستبدة أن تستبد بطريقة تعبير الناس عن آلامهم وتململهم من خطابها.

ورد عن الامام علي عليه السلام: ((الإنسان لبه لسانه))[٢٦] و((طليق اللسان حديد الجنان))[٢٧]. هنا يذكر الامام نوعا آخر من الشجاعة الا وهي الشجاعة الأدبية التي تستمد طاقتها من قوة القلب الذي لا يهاب النتائج عندما يختار المواجهة بالكلمات لحكومة لا تتورع عن سفك الدماء للحفاظ على سلطتها. ولأن الجيل الجديد نشأ في ظل حرية التعبير بعد السقوط فأنه صار يستمد طاقته من التظاهر في الساحات وشجب كل ما يمت للنظام بصلة. بعبارة أخرى اننا وظفنا شجاعتنا في اللغة. استعملنا اللغة لأن الزمان كان زمان لجم الأفواه واسكات الأصوات. جيل اليوم يؤمن بالأفعال؛ لأن اللغة فقدت قيمتها في استنهاض معاني الكرامة واسترجاع الحقوق المسلوبة؛ ولأن العنف بلغ أوجه فصاروا يؤمنون بعنف الأفعال حتى إن كانت بلا جدوى. علاوة على ذلك كانت السلطة تأخذ بالنار والحديد كل من يعارضها وبردع صارم لأي بادرة احتجاج بحظر كل الحريات بدءً بحرية التعبير فكان الموت يتربص بالكلمة. أما اليوم فهناك حرية التعبير لكن السلطة اليوم استخدمت اللغة كمخدر للشعب الذي أغرقته بوعود نكثتها لحظة اطلاقها لذا لم يعد الناس يؤمنون بالكلام فلجؤوا الى عنف الأفعال. وحين لم تجديهم الأفعال عادوا على الجيل السابق باللائمة.

خاتمة

اذا كان الإنسان يفكر باللغة فمن الأولى أن يتغير الخطاب وتتغير دلالات الالفاظ لتتلائم مع الفكر الجديد الذي يتأثر به في حياته، وهذا التأثر متأت من تغيرات اجتماعية قد تفرضها سلطة لها خطابها ولها توجهاتها للجمهور الذي تتسلط عليه. ، وقد ادركت السلطة في العراق هذا جيدا لذا قامت في حقبة الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي بتغيير دلالات الالفاظ واكسابها معان جديدة مستوحاة من فكر السلطة وحزبها الواحد.

وقد سار البحث في خطين متوازيين: الخط الأول تأثير لغة السلطة الحاكمة على المحكية العراقية، والخط الثاني مواجهة جمهور الشعب المحكوم للسلطة الحاكمة على اللغة التي يستخدمونها. فكان كلا الخطين متوازيين بالفعل والقوة.

وقد مضى العراق من حرب الى حرب الى حصار اقتصادي ابان تلك الحقبة وقد سجل البحث هيمنة اللغة العسكرية على الحياة المدنية بما لا مزيد عليه. وقد أدى تطاول العهد بالحياة العسكرية ان تتجه اللغة الى العنف في التعبيرات اللغوية. وما الأغاني التي انتشرت بعد نهاية حرب الخليج الثانية حتى يومنا إلا امتداد لذلك النفس الحربي القائم على أساس القتل؛ إذ نجدها مليئة بالقتل والموت بالحان راقصة.

وعلى الرغم من رغبة السلطة في فرض سيطرتها على الشعب باللغة، كانت اللغة نفسها وسيلته في التمرد، وذلك باللجوء الى استعارات وعبارات يعرفها العراقي ويستبهمها الآخرون، فكأنها شفرات لغوية ينبزون بها السلطة علنا من غير أن تتمكن هذه الأخيرة من اتهامهم أو مؤاخذتهم.

ان الرسالة التي نريد أن نوصلها هنا هي تسجيل للذاكرة العراقية زمن القسر والاستبداد قبل أن يمرّ عليها الزمان بالمحو والنسيان، وقبل رحيل الأنفس التي رزحت تحت وطأة نظام تَحَكَّمَ بكل مقدراته وغيّر شكل الحياة بكل تفاصيلها ووضع الناس في بعد لا تصله قدراتهم على التغيير ناهيك عن الاعتراض والاحتجاج. وقد بدأ التغيير في تشكيل لغة جديدة استخدمها الجهاز الحاكم وقسر الناس على تمثل معانيها والتعبير في فضاء معطياتها التي تسخر من إنسانيته وتجرده من حريته،

فكان أن تحداها في حركة التفاف على مفرداتها بأن أفرغها من هالة القدسية التي اكتسبتها بسبب استعمال رمز السلطة لها تارة ومن تغيير دلالاتها بما يتناسب مع نبض الشارع المتمرد على هيمنة لغة الحاكم تارة أخرى.

وفي الاستعمال الموازي لخطاب السلطة عمد العراقي الى استخدام ذات الالفاظ السلطوية القوية لكن بمعان متدنية وأحيانا غير لائقة امعانا في الاستهانة بالمقول والقائل.

اما تشفير اللغة فان كل من عاش أوج قوة النظام وسطوته قد علم أن أية كلمة أو نكتة أو اشارة ولو من بعيد الى أي رمز من رموز السلطة لا يعني سوى الموت سيدرك أهمية تشفير اللغة والبحث عن كلمات موازية للمحظورات كي يستطيع أن يتحدث بها أمام الناس أو على الهاتف ولا يفهمها سوى المعني بها فيأمن بذلك الاعتقال أو الاعدام.

أما ابتداع الفاظ جديدة للمحظورات اللغوية فقد أبدع العراقي كعادته في سوقها في حديثه دونما حاجة للشرح والتعليق. وقد طال ذلك حتى رمز السلطة فكنوا عنه بكنايات وأطلقوا عليه أسماء شخصيات تلفزيونية عرفت بالظلم والقسوة امعانا في السخرية والاستهزاء.

ولأن الكثير من الأجيال الجديدة لا تعرف هذه المعاني لهذه الألفاظ؛ إذ إنها لم تكن حاضرة في وقت استبداد السلطة، وكل رموزها وتسلطهم على رقاب الناس، فسيكون هذا البحث بمثابة وثيقة للأجيال القادمة التي لا تعرف عن هذه الحقبة سوى ما قد ينشر من أكاذيب فلول الحزب الحاكم أنفسهم ليجعلوها هي الحقيقة الباقية لأجيال المستقبل، ولكننا نقول إن ألفاظنا وعباراتنا قد حملت آلامنا ومحنتنا وهذه عجالة حاولنا فيها استنطاق هذه الألفاظ باستذكار ما تحمله من دلالات واستنطاقها؛ لتكون شاهدا حيا على الألم والأسى الذي رافق تلك الحقبة، ولعل هذا البحث رؤية للحقيقة من منظور غير المنظور الذي اعتاده الناس فضلا عن كونه شاهدا لا يمكن تكذيبه أو مصادرته؛ لأننا نسجل ما عشنا همومه المتواصلة إلى يومنا هذا.

الهوامش

(*) الحق أنهما محطتان قناة تسعة أو القناة العامة وقناة سبعة أو قناة الشباب في التسعينات، ولكن عند حدوث هجوم على الجبهة أو خطاب لرئيس الدولة فإنهما تشتركان في البث عندها لا مناص للعراقي ولا مهرب.

١.ينظر : ابن منظور مادة (غ وغ)، https://almaliky.org/subject.php?id=١٤٧٥

٢. أندريه جاكوب، انثروبولوجيا اللغة، المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٥، مقدمة المترجمة ليلى الشربيني.

٣. نورمان فيركلف، اللغة والسلطة، ترجمة محمد عناني، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٦، ص ٥٩

٤. عبد العزيز العيادي، المعرفة والسلطة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت / لبنان، ١٩٩٤، ص ١٩

٥. انظر نورمان فيركلف، المعرفة والسلطة، ص ٨

٦. عبد العزيز العيادي، المعرفة السلطة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت / لبنان، ١٩٩٤، ص ١٨

٧. انظر نورمان فيركلف المعرفة والسلطة، ص ٨

٨. ابن منظور الأنصاري، لسان العرب مادة (ث ر ب)

٩. صحيح مسلم (٢١٣٩) (١٤) و(١٥) ، وهو في سنن أبي داود (٤٩٥٢)

١٠. يحيى بن شرف النووي، الأذكار النووية ص٢٩٢

١١. أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا الرازي الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ص ٨٩-٩١

١٢. انظر نورمان فيركلف، المعرفة والسلطة، ص ١٠

١٣، انظر نورمان فيركلف المعرفة والسلطة، ص ١٠

١٤. ينظر: ابن منظور، لسان العرب: (س ي ر)

١٥. معجم المعاني الجامع،

https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%AA%D8%B8%D8%A7%D9%87%D8%B1%D8%A9

١٦. ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة الطبعة الأولى، مصر، ص ١٥٧. ١٥٨ .

١٧. Slobin,Dan Isaac,: Psycholinguistics, Scott Foresman & Co., ١٩٧٩. P.١٢٢

١٨. أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ) كتاب العين دار احياء التراث العربي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م — ١٤٢١ هـ، ص ٧٩٤ مادة (ق ص ف)

١٩. رولاند بارت، درس السيمولوجيا، ترجمة عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، المغرب، ١٩٨٦، ص ١١، وهو الدرس الافتتاحي للكولج دي فرانس سنة ١٩٧٧، أنظر نورمان فيركلف، السلطة والمعرفة، ص ١١٩.

٢٠. Caroll.J.led, Language thought and Reality.١٩٥٩: ٥٣

٢١. ينظر معجم مصطلحات علم اللغة الحديث: ٩٣ وضعه مجموعة من الباحثين، مكتبة لبنان/ ط١/١٩٨٣، التطور اللغوي: ١٢١

٢٢. أنظر ويكبيديا:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D٩%٨٦%D٩%٨A%D٨%B٥

٢٣. انظر نورمان فيركلف، المعرفة والسلطة، ص٥٨-٥٩

٢٤. (السيوطي) الأشباه والنظائر في النحو:٢/١٧٦.

٢٥. ينظر: د. محمد محمد يونس، المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية، دار المدار الإسلامي، ط٢، ٢٠٠٧م، ص ٢١٢.٢١٣.

٢٦. العلامة المجلسي، بحار الأنوار: ٧٨ / ٥٦ / ١١٩

٢٧. العلامة المجلسي، بحار الأنوار، — ج ٦٤- صفحة ٩٤ و نهج البلاغة ط مصر محمد عبده ج ١ ص ٢٥٣

المصادر والمراجع

١ . أندريه جاكوب، انثروبولوجيا اللغة ترجمة: ليلى الشربيني، المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠٢,

٢. أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها مكتبة المعارف، بيروت، لبنان.

٣. أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ ه) كتاب العين، دار احياء التراث العربي، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م – ١٤٢١ هـ. أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني ت٢٧٥هـ سنن أبي داود/ الرسالة العالمية
٤أ بو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري / صحيح مسلم / دار النوادر.
٥. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المعروف بابن منظور / لسان العرب الطبعة الأولى / المطبعة الميرية / بولاق ١٣٠٣.
٦. جلال الدين السيوطي ت٩١١هـ، الأشباه والنظائر في النحو، وضع حواشيه غريد الشيخ / دار الكتب العلمية/ بيروت . لبنان.
٧. رولاند بارت، درس السيمولوجيا، ترجمة عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، المغرب.
٨. ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، الطبعة الأولى، مصر ١٩٥٠.
٩. عبد العزيز العيادي، المعرفة والسلطة/ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت / لبنان.
١٠. المجلسي الشيخ محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأخيار دار الأعلمي للمطبوعات/ بيروت لبنان.
١١. د. محمد محمد يونس، المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية، دار المدار الإسلامي، ط٢، ٢٠٠٧م.
١٢ . معجم مصطلحات علم اللغة الحدي، ٩٣ وضعه مجموعة من الباحثين، مكتبة لبنان/ ط١/١٩٨٣.
١٣. محيي الدين يحي بن شرف النووي ت ٦٧٦هـ، الاذكار النووية دار ابن حزم للطباعة والنشر / الطبعة الأولى /٢٠٠٤م.
١٤. نورمان فيركلف، اللغة والسلطة، ترجمة محمد عناني، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٦.

المواقع الإلكترونية

١. https://almaliky.org/subject.php?id=١٤٧٥
٢. https://ar.wikipedia.org/wiki/%D٩٪٨٦٪D٩٪٨A%D٨٪B٥
٣. https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D٨٪AA%D٨٪B٨٪D٨٪A٧٪D٩٪٨٧٪D٨٪B١٪D٨٪A٩/

المصادر الأجنبية

Caroll.J.led, Language thought and Reality.١٩٥٩